﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: 1 - 9]

❁ مناسَبَةُ مَطلعِ السّورةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من بيانِ نهايةِ العالمِ إلى التّنبيهِ على مصارعِ العالمِ

لمّا خُتِمت السّورة السّابقة ببيان ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين، وما يلحق المُكذِّبين من العذاب الأليم، وبعد أن قرَّر سبحانه أنَّه أعلم بما تُخفي صدور الاعداء من مكرٍ وما يُدبِّرونه من كيدٍ؛ أعقب ذلك بقَسَمٍ يُؤكِّد فيه أن الله سيتولّى الانتقام لعباده انتقامًا يكشف عن كمال قدرته وتقرير الحساب والجزاء يوم القيامة ردًا على إنكارهم وتماديهم في عداوة أولياء الله[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾: يدلّ أصْل الكلمة (برج) على معنيَيْن: أحدهما: البروز والظُّهور، والآخر: الوَزَر والمَلْجَأ[2]، وهو في الأصل الرَّكن والحِصن والقَصْر، وكُلّ بناء مُرتفع على شَكْلٍ مستديرٍ أو مربعٍ يكون مُنفردًا أو قِسْمًا من بنايةٍ عظيمةٍ. والبُرْج أيضًا أحَد بُروج السَّماء. والمقصود هنا النُّجومُ؛ لأنَّها تتبَرَّجُ؛ أيْ: تظهَرُ، أو مَنازِلِ الشَّمسِ والقَمَرِ، وسُمّيت بالبُروجِ؛ لأنَّها بالنِّسبةِ لهذه الكواكِبِ كالمنازِلِ لساكِنيها[3].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 352.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (برج).
(3) ابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 522.

2) ﴿ٱلۡمَوۡعُودِ﴾: يدُلُّ أصل الكلمة (وعد) على تَرْجيَةٍ بقَولٍ. يُقالُ: وعَدْتُه أعِدُه وعْدًا. ويَكون ذلك بخَيرٍ وشَرٍّ. فأمّا الوَعيدُ فلا يَكونُ إلّا بشَرٍّ. يَقولونَ: أوعَدْتُه بكَذا.[1] قال الفرّاءُ: يُقال وعَدْتُه خَيْرًا ووَعَدْتُه شَرًّا، والعِدَةُ: الوَعْدُ. والمَوْعِدَةُ، والميعاد: المواعَدَة والوَقْت[2]، والمقصود يوم القيامة.

3) ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يدلُّ أصل الكلمة (شهد) على حضورٍ وعِلْمٍ وإعلامٍ.[3] والشَّهادة: خبَرٌ قاطعٌ. تقول منه: شَهِد الرَّجُل على كذا، وقولهم: اشْهَد بكذا؛ أي: احْلِف. والمُشاهدة: المُعاينة. وشهده شُهودًا؛ أيْ: حَضَرَه، فهو شاهدٌ. وقومٌ شُهودٌ؛ أيْ: حُضورٌ، وشَهِد له بكذا شَهادةً؛ أيْ: أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهدٌ[4]. والشّاهِدُ: العالِم الذي يُبَيِّنُ ما عَلِمَه.[5] والرّائي، أو المَخبِرُ بحَقٍّ لإلْزامِ مُنكِرِه، وقد اختُلف في المُراد به في الآية الكريمة على أقوال كثيرة منها: يوم الجمعة، ويوم النحر، والملائكة، وجوارح الإنسان.. وقيل غير ذلك[6].

4) ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾: أصلُ (خدد) يدُلُّ على امتدادٍ إلى السُّفلِ غائضٍ[7]، وهو الشَّقّ العَظيم في الأرضِ يُحفَرُ مُستطيلًا[8]، وهو المُراد في الآية، ويُجمع على أخاديد. وأصل ذلك من خَدَّي الإنسان؛ وهما العضوان النائتان المُكتنفان أنفه يمينًا وشمالًا. فالخَدُّ يُستعار للأرض وغيرها كاستعارة الوجه[9].

5) ﴿ٱلۡوَقُودِ﴾: أصلُ (وقد) يدُلُّ على اشتِعالِ النّارِ. وهو الحَطَب المَجعولِ للاتِّقادِ.[10] والوَقودُ بالفَتْح: الحَطَبُ، وبالضَمّ الاتِّقادُ.[11] يُقال: وقَدَتِ النارُ تَقِدُ وُقودًا ووَقْدًا. واستَوْقَدْتُ النارَ: إذا ترشّحتُ لإيقادِها، وأوْقَدْتُها. واتَّقَدَ فلانٌ غضبًا. ويُستعار (وَقَدَ)

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).
(2) الفيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: (وعد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (شهد).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).
(6) الماورديّ، النُّكت والعيون: 6/ 241.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خدد).
(8) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 522.
(9) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (خدد).
(10) ابن قتيبة: غريب القرآن، ص: 43، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وقد).
(11) الجوهريّ، الصّحاح: (وقد).

و(اتَّقَدَ) للحرب كاستعارة النّار والاشتعال[1]، والمُراد في الآية شدّة اتّقاد النّار.

6) ﴿قُعُودٌ﴾: القُعودُ يُقابَل به القيام، والقَعْدَةُ للمرّة، والقِعْدَةُ للحال التي يكون عليها القاعِدُ، والقُعودُ جَمْع قاعد. والمَقْعَدُ: مكان القعود، والجمع: مَقاعِدُ[2]، ويُعَبَّر بالقعود عن التَّكاسل، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة: 46][3]، والمُراد في الآية هو طول اللَّبث في مكان التّعذيب لمراقبة عذاب المؤمنين، والتّلذُّذ به.

7) ﴿نَقَمُواْ﴾: يدلُّ الأصل على إنكار شيءٍ وعيبِه، ونَقَمْتُ عليه أنْقِمُ: أنْكَرْتُ عليه فِعْلَهُ. والنِّقْمَةُ من العذابِ والانتقام، كأنَّه أنْكَر عليه فعاقبه[4]، ونَقِمْتُ الشَّيْءَ ونَقَمْتُه: إذا أنْكَرْتُه إمّا باللِّسان، وإمّا بالعُقوبة[5]، والمعنى هنا: الإنكار مع العقوبة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أقسم اللّه بالسَّماء التي حوت منازل الشَّمس والقمر والنُّجوم، وجمعت تلك الأجرام في مسالك مُنتظمة، وسيرٍ محكمٍ بديعٍ يشهد بتمام قدرة اللّه تعالى، وواسع رحمته، وشمول علمه، وجليل حكمته[6].

القَسَمُ الإلهيُّ العظيمُ الذي يكشفُ عَظَمَةَ القُدرةِ، ويفضحُ جريمةَ أصحابِ الأخدودِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

واوُ القَسَمِ ونكتةُ الافتتاحِ بها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ للقَسَم، وافتتاح السّورة بهذا القَسَم إثارةٌ لتشوُّف السّامعين لما سيأتي بعده، وتنبيهٌ إلى عِظَم المُقْسَم عليه، وهو في الوقت ذاته دعوةٌ للتَّأمُّل في ما أُقسِم

الافتتاحُ بالقَسَمِ إشعارٌ بعظيمِ الأمرِ وفخامةِ المَقصدِ المُرادِ بيانُهُ

(1) الرّاغب، المُفردات: (وقد).
(2) الرّاغب، المُفردات: (قعد).
(3) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (قعد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نقم).
(5) الرّاغب، المُفردات: (نقم).
(6) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 918.

به؛ إذ إنَّ بعضه شواهدُ ساطعة على القدرة الإلهيَّة التي تستوجب انفراد الله بالألوهيَّة ونفي الشَّريك عنه، وبعضه تذكيرٌ بيوم البعث الموعود، وإشارةٌ إلى حتمية وقوعه؛ إذ لا يُقسَم إلّا بأمرٍ ثابتٍ لا ريب في تحقُّقه، وفي بعضه إبهامٌ مقصود يحمل النُّفوس على التَّطلُّع إلى كشف معانيه، فيشتدُّ انتباه السّامعين، ويتهيّأ القلب لتلقّي ما بعدها من الحقائق الجليلة[1].

معنى تعريفِ لفظِ (السَّماءِ):

حملُ الكلامِ على الإجمالِ أو التّفصيلِ إنّما يتعيَّن بحسبِ المقصودِ بالسّياقِ

المقصود بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ السَّماء الدُّنيا؛ لأنَّ البروج تُعرف منها فهو كقوله: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: 5][2]، فهي السَّماء الدُّنيا دون سائر السَّماوات السَّبع للقطع بذلك بالقرينة كما في قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧﴾ [الحجر: 16 - 17] فذات البروج هي المُزيَّنة بالكواكب للنّاظرين والمحفوظة من كلّ شيطانٍ رجيم، إلّا من استرق السَّمع فأتبعه شهابٌ مبينٌ.

دلالةُ القَسَمِ بالسَّماءِ ووصفِها:

القَسَمُ بالمخلوقِ يشملُهُ وصفاتِه المذكورةَ والمطويّةَ

القَسَم بالسَّماء بوصف ﴿ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ يشمل السَّماء ووصفها، وجاء هذا الأسلوب مُتضمِّنًا القَسَم بالأمرَيْن معًا، ليلفت عقول المُتدبِّرين إلى ما في هذه المخلوقات وأحوالها من دلائل القُدرة الإلهيَّة وسَعة العلم الرَّبّاني؛ إذ أبدعها على مقادير دقيقةٍ مُحكمةٍ، وجعل انتظامها سببًا لانتفاع النّاس بها في معرفة مواقيت الشُّهور وتعاقب الفصولِ[3].

توجيهُ تخصيصِ ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ بالذِّكْر:

السَّماءُ ذاتُ البروجِ وسيلةُ الاهتداءِ الحسيِّ والمعنويِّ

سُمّيت السَّماء بُروجًا؛ لظهورها وتبرُّجها في السَّماء، أو لأنَّها

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 237.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 341.
(3) ابن عاشور، التَّحريروالتَّنوير: 30/ 237.

بالنِّسبة لهذه الكواكب كالمنازل لساكنيها[1]، فآثر النَّظم الكريم ذِكْر بروج السَّماء دون بقيَّة مزاياها وصفاتها لما أنَّ هذه البروج ظاهرةٌ مُشاهَدَةٌ للنّاس، فكان ذِكرُها إشارةً إلى أنَّ على النّاس أن يهتدوا بها في معرفة الحقِّ الموصِل إلى الاعتقاد الصَّحيح؛ فإنَّ السَّماء ذات البروج وحدها كافيةٌ في الدَّلالة على الحقِّ المُبين.

نوعُ الاستعارةِ وبيانُها:

تشبيهُ البروجِ بالقصورِ العاليةِ بجامعِ الظُّهورِ

في لفظ: ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ؛ حيث شُبِّهت الأماكن المرتفعة في السَّماء بالقُصور، فصُرِّحَ باسم المُشبَّه به، والجامع بين الطّرفيْن هو العُلوّ والظُّهور[2]، أو لكونها مبدأ للظُّهور وصفت به مجازًا في الطَّرف، فهي المنازل التي تبدو منها الكواكب وتخرج إلى مرأى البشر، فكأنَّها أبوابٌ تُفتح لظهور تلك الأنوار العلويَّة، وذلك على القول بأنها أبواب السَّماء[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بجمعِ ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾:

الدَّلالةُ على كثرتِها وتنوُّعِها

أوثِر جَمْعُ الكثرة (فُعول) على جمع القلَّة (أفعال) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾؛ فجاء في الآية ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ لا (الأبراج) ليُنبئ عن الواقع، وإنْ لمْ يكن مُشاهدًا، وليلائم سَعَةَ السَّماء وعِظَمَ خلقها، وما أبدع فيها من النُّجوم ومواقعها، وفيه دلالة على كثرتها وتنوُّعها.

فائدةٌ في كونِ ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ من الأفرادِ:

البُروجُ في القرآنِ غالبًا هي في السَّماء؛ كذلك هي القُصورُ المُشيَّدةُ

لفظُ ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ من أفراد القرآن الكريم، حيث دَلَّت على بروج السَّماء في القرآن كلِّه إلّا في موضعٍ واحدٍ فدلَّت على القُصور في الدُّنيا، قال ابن فارس: "وَكُلُّ ما فيه من ذِكْر "البروج"، فهي الكواكب

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 341.
(2) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 178، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 295.
(3) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 178، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 295.

إلّا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، فهي القصور الطِّوال الحصينة"[1]، والأفراد نوعٌ من المُشترك اللَّفظي تكون جميع الاستعمالات للَّفظ ذات معنًى واحدٍ، ولا يَشذُّ عنه إلّا استعمالٌ واحدٌ.

مناسبةُ العطفِ بين الجُمَلِ:

التّناسبُ بين المعاني طريقُ الاستدلالِ على الحقائقِ

لمّا كان قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ مُتضمِّنًا الإشارة إلى إمكان البعث ودلالته؛ أعقبه سُبحانه بالتَّصريح بيوم البعث فقال: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ توكيدًا للمعنى وتجليةً له، ثُمَّ لمّا كان الحَشْرُ إنَّما يكون للعرض والحساب، والعرض لا يتمُّ إلّا بحضور الشّاهد والمشهود عليه وما يجري بينهما من احتجاجٍ ومُخاصمةٍ على ما قدَّموا من أعمالٍ؛ أُتْبِعَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؛ ليكتمل مشهد يوم القيامة بما فيه من مظاهر وأحداث.

دلالةُ تعريفِ لفظِ (اليوم) ووصفُهُ بالموعودِ:

الزَّمنُ المُستحقُّ بأن يوصف بالموعودِ هو يومُ القيامةِ

جاء لفظُ (اليوم) مَعرفةً للدَّلالةِ على أنَّ اليوم المُستحقَّ أن يُعرَّف تعريفًا حقيقيًّا بأنَّه الموعود هو هذا اليوم، وليكون توطئةً لتعريف صفته ﴿ٱلْمَوْعُودِ﴾، وهو يوم القيامة بإجماع المُفسِّرين[2]، ووصف بالموعود؛ لأنَّ الخلائق وُعِدوا فيه بالبعث للجزاء، ونُكتة الوصف تظهر في إثبات الوعدِ على سبيل التَّحقيق والتَّأكيد، وأنَّ لهذا اليوم ميعادٌ محتومٌ.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المفعولِ:

القيامةُ هو الزَّمنُ الذي يحوي الحَدَثَ الأعظمَ للبشريَّة جمعاء

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بصيغة المفعول في قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ للإيماء إلى أنَّ هُناك وعدًا وفاعلًا له ومفعولًا، فالوعد هو يومُ القيامة[3]، والفاعل هو الله تعالى، والمفعول هو الحَدَثُ الواقع

(1) السّيوطيّ، الإتقان: 2/ 156.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 283.
(3) الجبليّ، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 4/ 365.

في زمانٍ مُستقبليٍّ مُبهمٍ عن الخَلْق، ودلَّت صيغة المفعول على تسليط النَّظر على الحَدَث في الزَّمن القادم، ولتكتمل الفاصلة في تناسقها اللَّفظيِّ.

مُناسبةُ تقديمِ ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ على ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾:

تقديمُ الزَّمانِ على ما يقعُ فيه من أحداثٍ

تقدَّم ذِكْرُ ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ باعتبار التَّقدُّم الزَّمانيِّ، وذلك بناءً على القول بأنَّ الشّاهد والمشهود هو ما يكون يومَ القيامة من شهادة الرُّسل على أقوامهم، أو الشّاهد الخلائق الحاضرون للحساب، والمشهود: اليوم[1]، فيكون ترتيب الكلام بتقدُّم ذِكْر السَّماء ذات البروج وهي الدّالة على النِّظام الدُّنيوي المُتكامل، ثُمَّ اليوم الموعود الدّالّ على النِّظام الأخرويّ، ثُمَّ الشّاهد والمشهود الدّالّ على النِّظام الجزائيّ في ذلك اليوم، فهو ترتيبٌ زمانيٌّ مُتوالٍ.

نُكتةُ إطلاقِ الوصفِ عن المُقيِّداتِ:

حُذِفَ مُتعلَّق الصِّفة في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾، فلم يَقُلْ: الموعود به النّاس ونحو ذلك؛ لدَلالةِ الكَلامِ عليه، وليكون عَلَمًا بالإطلاق على ذلك اليوم.

غرضُ تنكيرِ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾:

تشويقُ المُتلقّي لمعرفةِ المقصودِ تعظيمٌ للاهتمامِ بالمُرادِ

جاء قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ نكرةً بعد معرفةٍ وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾، وفائدة ذلك وقوع الاحتمال الدّلاليّ لهذيْن اللَّفظيْن، ولذلك فقد اختلف المُفسِّرون بالمُراد بهما مع إجماعهم على أنَّ (اليوم المَوعودِ) هو يوم القيامة، فقيل: الشّاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وقيل: يوم النَّحْر، ويوم عَرَفة، وقيل: الملائكة، والإنسان، ودليله: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ

(1) أبو حيّان البحر المحيط: 10/ 443.

مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: 21] وقيل: الجوارح، والنَّفس، ودليله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النّور: 24 - 25]، وقيل: المشهود هو يوم القيامة، ومُستندُه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود: 103 - 104]، وفي الشّاهد على هذا التّأويل خمسة أقوال: أحدها: هو الله تعالى مُستنده الآيات الكثيرة الدّالة ومنها ما سيأتي بالسّورة: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ومنها: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ﴾ [الأنعام: 19]. الثّاني: هو آدم عليه السلام، الثّالث: هو عيسى ابن مريم عليه السلام ومأخذه قوله تعالى على لسان عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ [المائدة: 117]، وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النّساء: 41]، الرّابع: هو مُحمَّد ﷺ ؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النّساء: 41]، الخامس: هو الإنسان، قاله ابن عبّاس – رضي الله عنهما[1]، ومُستنده كثيرٌ؛ منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: 172 - 173]، وقوله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص: 75].

وهذا الاختلاف نابعٌ من توجيه الشّهادة والمشهوديّة بحسب ورودها في نصوص الكتاب والسُّنّة، وغرض التّنكير التّشويق لمعرفة المقصود منهما؛ لتوريث الاهتمام لدى المُتلقّي بذلك، وهو ما جعل الطّبريَّ يذهب إلى القول بالعموم، حيث قال: "والصوابُ من القولِ في ذلك عندَنا أنْ يُقالَ: إنَّ الله أقسَم بشاهدٍ شَهِد، وبمشهودٍ شُهِد، ولم يُخبِرْنا مع إقسامِه بذلك أيَّ شاهدٍ وأيَّ مشهودٍ أراد، وكلُّ الذي ذكَرْنا أنَّ العلماءَ قالوا هو المعنيُّ مما يستحقُّ أنْ يُقالَ له: شاهدٌ ومشهودٌ"[2]، وتابعه القرطبيُّ وابنُ كثيرٍ رحمهما الله تعالى[3]، فيكون على هذا التّنكير مُرادٌ به العموم، وتوجيه النّظر على أنَّ أحقَّ شاهدٍ ومشهودٍ بهذا اللّفظ هو ما يكون يوم القيامةِ.

(1) الماورديّ، النُّكَت والعيون: 6/ 242، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 108.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 270.
(3) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 8/ 477.

كما أفاد التَّنكير التَّهويل والتَّعظيم بالإيهام في الوَصْف، وهذا هو المُناسب للمَقام؛ لأنَّ المَقام يقتضي الزَّجْر، والتَّقدير: أيُّ شاهد ومشهود لا يُكْتَنه وصْفهما، ولا يُعْرَف قَدْرهما! ويحتمل أن يكون التَّنكير للمُبالغة في كَثْرة العَدَد[1].

سِرُّ استعمالِ مُفرَدَةِ (شهد):

الإيماءُ إلى العدلِ بين الخلائقِ في الجزاءِ

آثر النّظمُ الكريم استعمالَ مادة (شهد) في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، وذلك للإيماء إلى معنى الحساب والجزاء العادل، فإنَّ وجود شاهدٍ ومشهودٍ يدلُّ على وجود شهادةٍ في أمرٍ جللٍ يستحقُّ استجماع أركانها، وعلى جميع الأقوال المذكورة في تفسير ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فإنَّ معنى الشَّهادة حاضرٌ فيها جميعِها، وهي مجمع الأدلَّة التي ستكون يوم القيامة على أفعال العباد، وإن كان أولاها بالقبول هو ما يكون من الشَّهادة على الخلائق يوم القيامة، فهي الشَّهادة التي تُعيِّن مصيرَ الخلائق في أحد الجزاءيْن.

كما أنَّ الشّاهد والمشهود يدلُّ على "كُلّ مَنِ اتَّصف بهذا الوصف؛ أيْ: مُبْصِر ومُبْصَر، وحاضر ومحضور، وراءٍ ومرئيٍّ"[2].

بلاغةُ الكنايةِ عن صفةِ الجزاءِ:

ذِكْرُ أدلّةِ الجزاءِ والمشهودِ عليه مع الإيماءِ إلى ثمرةِ الشّهادةِ بعبارةٍ وجيزةٍ

قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ كنايةٌ عن صفة الجزاء على القول بأنَّها في الشَّهادة يوم القيامة، ونُكتة الكناية ذِكْرُ أدلّة الجزاء والمشهود عليه مع الإيماء إلى ثمرة الشّهادة بعبارة وجيزة مختصرة جامعةٍ بين معانٍ كثيرة بألفاظ مختزلة، وهي تُناسب سياق إثبات الوعد الحقّ، وما ينشأ عنه من الجزاء العادل بين الظالمين والمظلومين، كما أفاده مقصود السورة الكريمة.

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 729، والقونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 179، والبِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 21/ 355.

(2) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 918.

بلاغةُ الكنايةِ عن صفةِ الإحاطةِ الإلهيّةِ:

رقابةُ الله على عبادِهِ وإحاطتُهُ بأحوالِهم أعظمُ شهادةٍ وأعدلُ جزاءٍ

يدلُّ مضمون قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ على إحاطة عِلْم اللّه تعالى، ومراقبته لجميع أعمال العباد، وأنَّه سبحانه الرَّقيب الحَسيب الذي لا تخفى عليه خافية في هذا الكون الفسيح، كَما يدلُّ على كمال العدالة الإلهيَّة؛ فإذا كان ربُّ العِزَّة ﷻ، وهو الشَّهيدُ على كُلِّ شيءٍ، العليمُ بكلِّ خَفيٍّ وجَليٍّ، وقد وكَّل ملائكةً يكتبون أعمال العباد، ثُمَّ مع هذا كلّه لمْ يَقض بين خلقه بما يعلمُه منهم ولا بما دوَّنته ملائكته؛ بل يُقيم الحُجَّة عليهم باستنطاق جوارحهم، واستشهاد الرُّسل على أُممهم، واستشهاد النَّبي ﷺ على سائر الرُّسل بأنَّهم أدّوا رِسالات ربِّهم؛ فكان هذا هو منهج العدل الإلهيِّ؛ فمن باب أولى ألّا يقضي القاضي بعلمه مُجرّدًا؛ بل لا بُدَّ من بيِّنة تُقام وحُجَّة تُظهر[1].

نكتةُ إفرادِ لفظِ (شاهِد):

أُفْرِد لفظ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؛ لأنَّ المقصود الجِنْس[2]، فيدخل في ذلك كلُّ شاهدٍ ومشهودٍ بناءً على الأقوال المذكورة في تفسير الآية، فكلُّ قولٍ بحسب ما يدلُّ عليه.

دلالةُ حَذْفِ مُتعلَّقِ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾:

دلالةُ الكلامِ والسّياقِ على المحذوفِ

حُذِف مُتعلَّق الوصفيْن في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؛ لدلالة الكلام عليه، وللعِلْم به[3]، وذلك بحسب توجيه الأقوال التَّفسيرية الواردة في ذلك، فلكلٍّ منها مُتعلّق بحسب مُقتضاه.

سِرُّ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْمَوْعُودِ﴾:

من الطَّريفِ مُقابلةِ يوم أصحاب الأخدود بيوم الوعيدِ المذكور

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 8/ 480.
(2) القونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 20/ 179، والمظهريّ، التَّفسير المظهريّ: 10/ 234.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 240.

بالآية الكريمة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: 20]، وإنَّما قال هُنا: ﴿ٱلۡمَوۡعُودِ﴾؛ أيْ: به، دون أن يقول (المُتَوَعَّد) أو (الموعَد) إجراء لحكم سَبْقِ الرَّحمة الغضبَ وتغليبًا لِمَن أوذوا في الله فهم آثر بنظر الله إليهم، وبيانًا لطيب نفوسهم وما وقر فيها من سماحتهم أنهم لا يعنيهم تعذيب أولئكم الذين نقموا منهم إيمانهم، فلو آمنوا بعد شنيعِ ما فعلوا بهم لفرحوا لهم وسُرّوا بهم ولم يكن تعذيبهم مطلوبًا لهم، وقد جاء التَّعبير القرآنيّ السَّمح: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ مُناديًا على الكفار: واصباحاه؛ مُلمِّحا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾، قال الحسن البصريُّ رحمه الله: "انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التَّوبة"[1].

إجـــراءٌ لحكم سَبْـقِ الرَّحـمة الغضبَ وتغليبًا لِمَن أوذوا في الله

تعيينُ جوابِ القَسَمِ:

اختُلف في تعيين جواب القَسَم لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾، فقيل: الجوابُ قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾، على تقدير اللّام، والأصل: لقُتل، وإنَّما حسُن حذفها للطّول، وقيل: تقديرُه: لقد قُتِلَ، فحَذَفَ (اللامَ) و(قد)، وعلى هذا فقولُه: ﴿قُتِلَ﴾ خبرٌ لا دُعاءٌ، وقيل: بل هي دعاءٌ فلا يكونُ جوابًا، وفي الجواب حينئذٍ أوجهٌ، أحدُها: أنَّه قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾، الثّاني: قولُه: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ﴾، الثّالث: محذوفٌ يَدُلُّ عليه: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾، كأنَّه قيل: أُقسِمُ بهذه الأشياءِ إنَّ كفّار قريشٍ مَلْعونون كما لُعِنَ أصحاب الأخدود[2].

كـثرةُ الأقـوالِ في جـوابِ القَسَم دالّـةٌ على سَعَةِ دلالـةِ النَّـظـمِ الكريمِ

بلاغةُ جوابِ القَسَمِ المُقدَّر بين الإنشاءِ والخبرِ:

قد تكون جُملة: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ إنشائيَّة دعائيَّة دالَّة على الجَوابِ؛ أيْ: لُعِنَ أصحاب الأخدود، كأنَّه قيلَ: أُقسِمُ بأنَّ كُفّار

تقديرُ المُحتملاتِ المحذوفةِ مُرتبطٌ بمعاني الألفاظِ ودلالاتِ السّياقِ

(1) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 918.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 729، والسّمين، الدُّرُّ المَصون: 10/ 743.

مكّة ملعونون، كما لُعِنَ أصحابُ الأُخْدودِ، ويُرشِّح هذا أنَّ السّورةَ ورَدَتْ لتَثبيتِ المُؤمنينَ على ما هُم عليه من الإيمانِ، وتصبيرهم على أذيَّةِ الكَفَرة، وتَذْكيرِهم بما جرى على مَن تَقدَّمَهم من التَّعذيبِ على الإيمانِ وصَبرِهم على ذلك؛ حتَّى يأْتَسوا بهم، ويَصبِروا على ما كانوا يَلْقَون من قومهم، فجملة ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ دَليلٌ على لعنة اللّه على مَن فعَلَ ذلك، وطَرْدِه من رحمةِ اللّه، وتَنبيهٌ لكُفّارِ قُرَيشٍ الَّذين يُؤذونَ المُؤمنينَ ليَفتِنوهم.

وإمّا أن تكون جُملة: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ خبرًا لا دعاءً، وذلك على تفسير ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ بالمقتولين، والمعنى أنَّ أولئك المؤمنين قُتِلوا بالإحراق بالنّار، فيكون ذلك خبرًا لا دعاءً[1]، ويَتعيَّنُ على هذا أنْ يكونَ الخبَرُ مُستعمَلًا في لازمِ مَعناهُ من الإنذارِ للَّذين يَفتِنونَ المؤمنينَ بأنْ يَحُلَّ بهم ما حلَّ بفاتِني أصحابِ الأُخدودِ، وإلّا فإنَّ الخبَرَ عن أصحابِ الأُخدودِ لا يَحتاجُ إلى التَّوكيدِ بالقَسَمِ؛ إذ لا يُنكِرُه أحدٌ، فهو قِصَّةٌ مَعلومةٌ للعرَبِ، وتَقديرُ الكلام: لَقَدْ قُتِلَ أصحابُ الأُخدودِ، فيَكونُ المُرادُ من أصحابِ الأُخدودِ الَّذين أُلقوا فيه، وعُذِّبوا به، ويَكونُ لَفظُ ﴿أَصْحَٰبُ﴾ مُستعمَلًا في مَعنى مُجرَّدِ المُقارَنةِ والمُلازَمة[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بمُفرَدَة ﴿قُتِلَ﴾:

الإشارةُ إلى قَتْلِ المؤمنين على يدِ الكافرين وطردِ الكافرين من رحمةِ الله أشنعَ طردٍ

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبير بمُفردة القتل في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، وذلك لتدلَّ على معانٍ عديدة؛ منها احتمال المعنى الحقيقي في الإخبار عن كون المؤمنين قُتلوا من قِبَل المجرمين، واحتمال أن تكون مجازًا عن اللَّعْن؛ إذ الطَّرْد عن الرَّحمة يلزم

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 108.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 443 - 444، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 240 - 241.

القتل، والقتل أعظم العقوبات، واللَّعْن إذا كَبُر عُبِّر عنه بالقتل[1]، وهذا المجاز يَدلُّ على أنَّ اللَّعن بَلَغ مبلغًا عظيمًا من الشِّدَّة، فذَكَر القتلَ وأراد اللَّعن زيادةً في التَّشنيع عليهم، ويحتمل أن يكون حقيقةً في الإخبار عن قتلهم عذابًا بعد تعذيبهم المؤمنين، ولا يمنع من اجتماع هذه المعاني، فالمؤمنون قُتلوا على يد الكافرين، والكافرون طُردوا من رحمة الله أشنع طردٍ.

نكتةُ بناءِ فعلِ ﴿قُتِلَ﴾ للمفعولِ:

بُنيَ فعلُ ﴿قُتِلَ﴾ للمفعول؛ للعلم بمَن لعنهم، وطردهم من رحمته تعالى، ولتوجيه النّظر إلى معنى اللَّعنِ في حقِّ أولئك الظّالمين المجرمين، دون ذِكْرِ الفاعل لتحقيرهم.

دلالةُ لفظِ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

مُلازمةُ الأخدودِ في الفكرِ والعملِ، والتَّعذيبُ عنوانُ إجرامٍ راسخٍ

دلَّ لَفْظُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ على معنى المُلازمة التي اكتسبها القائمون على الأخدود، فإنَّ هذا اللَّفظ "يَعُمُّ الآمِرين بجَعْلِ الأُخدودِ، والمُباشرين لِحَفْره وتسعيره، والقائمين على إلقاء المؤمنين فيه"[2]، كما دلَّت كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ على تواطُؤ أصحاب الأخدود وتوافقهم على هَدَفٍ واحدٍ هو تعذيب المؤمنين بأشدِّ أنواع التَّعذيب وإحراقهم، كما تُشير إلى الأشخاص المُرتبطين بالأخدود، وتُؤكِّد على فاعليتهم في الحَدث؛ حيث قاموا بحفر الأخدود أو أمروا بحفرِهِ.

دلالةُ الإضافةِ وغرضُها:

التَّعريفُ بالإضافةِ بسببِ الشُّهرةِ التّاريخيّة فلا يُزاحمهم عليها أحدٌ

إضافة لفظ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ إضافةُ تعريفٍ شُهرةٍ، فقد دلَّت الإضافة على أنَّ كُلَّ مَنْ باشر بالأمر أو بالتَّنفيذ مِمَّن حفر الأخدود وإضرامه نارًا، وإلقاء المؤمنين مُكبَّلين مُقيَّدين فيه، وتعاهده

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 182.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 240.

بالإضرام والتَّسعير، ومَن أخرج المؤمنين من بيوتهم ومقارّهم إليه فكلهم مُتَّحدون في الجُرم ويتقاسمون جميعًا تبعته ووزره.

بلاغةُ استعمالِ مُفردَةِ ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾:

الأخـــدودُ شـقٌّ في الأرضِ عميقٌ وعـظيـمٌ يحوي أعدادًا هائلةً من البشرِ

اشتُقَّ لفظ الأخدود من الخدِّ الذي هو وجه الإنسان، ثُمَّ استُعير وأُطلق على الشِّقِّ العظيم الطَّويل في الأرض[1]، فالخَدُّ يُستعار للأرض وغيرها كاستعارة الوجه[2]، وهو على وزن (أُفعول)، فهو من الكلمات الحِسّيّة الواصفة الكاشفة المُعَبِّرة المُكْتنزة؛ حيث دَلَّت على فعل الشَّقّ في الأرض تصويرًا حِسّيًّا مُشاهدًا كأنّنا نراه، وقد جاء وصف هذا الشقّ العظيم في الأرض؛ لأنّه يدُلُّ على امتدادٍ إلى السُّفلِ غائض[3]، والأخدود هو شقٌّ طبيعيٌّ في الأرض، فهو يختلف عن الخندق الذي يُحفر، فدلَّ على أنَّ المُعذِّبين اختاروا أخدودًا ووضعوا فيه المؤمنين، وعذَّبوهم، فعُرفوا به لا لحفرهم إيّاه؛ بل لاختيارهم إيّاه، وهو ما يتناسب مع استعارة الخدِّ لهذا الشَّقِّ، كما يُستعار الوجه للأرض، ولا يكون الأخدود صغيرًا أو قصيرًا، بل كبيرًا عظيمًا عميقًا غائرًا، وهو ما يدلُّ على كثرة المؤمنين المُعذَّبين فيه، وكثرة الجُند القائمين على تعذيبهم، فلم تكن حالاتٍ فرديّةً، بل هو عذابٌ لأُمَّةٍ كاملةٍ.

أثرُ الإعرابِ في المعنى في لفظِ ﴿ٱلنَّارِ﴾:

تهويلُ الأخدودِ ببيانِ أنّه نارٌ عظيمةُ الشَّأنِ استولت عليه

لفظ ﴿ٱلنَّارِ﴾ إمّا أن يكون بَدَلًا من الأُخدودِ بَدَلَ اشْتِمالٍ؛ لأنَّ الأخدود مشتَمل عليها، أوْ بَدَل بعضٍ من كُلٍّ؛ لأنَّ المُراد بالأُخدود الحَفيرُ بما فيهِ[4]، وتُرِكَ الرّابط بينها وبين الجُملة قبلها؛ لكونه

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 522.
(2) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (خدد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خدد).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 242.

معلوم الاتِّصال بينهما[1]، أو الرّابطُ مُقَدَّرٌ، تقديرُه: (النّارِ فيه)، أو أُقيمَت (أل) في ﴿ٱلنَّارِ﴾ مُقامَ الضَّمير، تقديرُه: نارِه، ثُمَّ حُذِفَ الضَّميرُ، وعوِّضَ عنه (أل)، وقيل: بَدَلُ كُلٍّ من كُلٍّ، على نيَّةِ حَذْفِ مُضافٍ، تقديرُه: أُخدودِ النّارِ[2]، وهذا القول هو أولى الأقوال في ذلك بالصَّواب وأقواها؛ لأنَّ الله تعالى بعد أن قال: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ والأخدود مُذكَّر، قال عُقيب ذِكْرِ النّار: ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ والمقام لِـ (عليه)، فلما أنّث بقوله ﴿عَلَيۡهَا﴾ دلّ على أنها أُقيمت مقامه في المعنى، وذلكم الأبلغ إذ يجعل الأخدود استحال نارًا كلّه وهو الواقع الذي ينبغي حمل كلمات القرآن عليه، وجميع هذه الأعاريب تدلُّ على عظمةِ النّار، سواء أكانت بدلَ اشتمالٍ أو كُلٍّ من كُلٍّ أو بعضٍ من كُلٍّ؛ لأنَّها جاءت مُبيِّنةً للأخدود بأنَّه نارٌ عظيمةٌ ذات وقودٍ شديدٍ، ففيها تهويل من شأنِ الأخدود، وأنّه قد امتلأ نارًا لتعذيب المؤمنين.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلنَّارِ﴾:

تعريف لفظ ﴿ٱلنَّارِ﴾ للإشارة إلى نارٍ معهودةٍ عَلِمَها النّاسُ، ووعتها أذهانُهم فتناقلوها، وهي التي حُرِّق بها المؤمنون، أو هي عِوَضٌ عن مُضافٍ إليه محذوف تقديره: نار الأخدود.

بلاغةُ الوصفِ بـ ﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾:

معنى ﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ أنَّها لا يُخْمَدُ لَهَبُها؛ لأنَّ لها وقودًا يُلْقى فيها كُلَّما خَبَتْ[3]، ووَصْف النّار بأنَّها ﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ فيه إشارةٌ إلى استمرار اشتعال النّار دون تَوَقُّفٍ، فدلَّ ذلك على أنَّ القائمين على النّار يزيدونها وقودًا كلَّما خبت لا يكسلون عن ذلك بدافع القسوة الشَّديدة، والحقد البالغ، والكُفر المُفرط، وهو ما يدلُّ على

مرحلةُ أصحابِ الأخدودِ اتّسمتْ بالقهرِ المُفرطِ والجبروتِ البالغِ

(1) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 184.

(2) الفَرّاء، معاني القرآن: 3/ 253، والعُكبريّ، التِّبيان في إعراب القرآن: 2/ 1280، والسّمين، الدُّرّ المَصون: 10/ 743 - 745، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 297 - 299.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 242.

طبيعة تلك المرحلة التي عاشها البشر من القهر والجبروت والظُّلم والطُّغيان، فلا يكفيهم القتل، بل التَّعذيب بأشدِّ أنواعه.

بلاغةُ الكنايةِ في لفظِ ﴿ٱلۡوَقُودِ﴾ دون (موقدة):

تصويرُ زيادةِ لهيبِ النّارِ زيادةً مُفرِطةً

في قوله تعالى: ﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ تكثيرٌ ومُبالغةٌ، ذلك أنَّه لم يَقُلْ: (موقدة)؛ بل جعلها ذات وقودٍ؛ أيْ: مالكة الوقود، وهو كنايةٌ عن زيادته زيادةً عظيمةً لكثرة ما يرتفع به لهبُها وهو الحطب الموقد به؛ لأنَّ تعريفه استغراقيٌّ، وهي إذا ملكت كُلَّ موقود به عظم حريقها ولهبها[1]، وفيه إشارةٌ أيضًا إلى شِدَّة العذابِ احتراق مَن فيها.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡوَقُودِ﴾:

كثرةُ ما يرتفع لهبُ النّارِ وعظيم ما يشتدُّ حريقُها

﴿ٱلۡوَقُودِ﴾ ما توقد به النّار، والقصد وصْف النّار بالشِّدَّة والعِظَم[2]، وتعريفُ لفظِ ﴿ٱلۡوَقُودِ﴾ للجِنْس؛ أيْ: للاستغراق الادِّعائيّ بقصد المُبالغة، لإفادةِ الانتقاءِ للوقود السَّريع الإيقاد والاشتعال الشَّديد الضّرام والضَّراوة العالي اللهب، وكأنَّ كُلَّ الوَقود قد جُمِع لتلك النّار التي عَظُم لَهيبها، واشتدَّ حريقها، وأفاد قوله: ﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ المُبالغة بطريقة التَّجريد، وكأنَّ النّار انتُزِع منها نار أُخرى ذات الوقود مثلها.

بيانُ مُتعلَّقِ ظرفِ الزَّمانِ:

ظرفُ الزّمانِ في قوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا﴾ مُتعلّق بفعلِ ﴿قُتِلَ﴾؛ أيْ: لُعِنوا حين أحْدَقوا بالنّارِ قاعدينَ حولها في مكانٍ قَريبٍ منها مُشْرفين عليها من حافّاتِ الأُخْدود[3].

تعيينُ مرجعِ الضَّميرِ ودلالتِه:

إبرازُ تلبُّسهم بالفعلِ، وتصوير قُربهم من النّارِ قُربَ المُتعمِّدِ المُراقِبِ

يرجع الضَّمير في قوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا﴾ للكُفّار الذين كانوا يُحَرِّقون المؤمنين في الأخدود، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر[4].

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 342.
(2) ابن جُزَيّ، التَّسهيل لعلوم التَّنزيل: 2/ 469.
(3) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 23/ 384، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 299.
(4) ابن جُزَيّ، التَّسهيل: 2/ 469.

فإسناد الضَّمير إليهم يُبرز تلبّسهم بالفعل، ويُصوّر قُربهم من النار قُربَ المُتعمّد المراقِب وهذا الفعل يبلغ بهم غاية ما يكون من الطغيان وغِلَظ القلب؛ إذ إنّهم جمعوا بين جحود آيات الله ومكابرتها، وبين محاربة أهل الإيمان وتعذيبهم بذلك العذاب الشنيع، فاجتمع فيهم الكفر والعدوان وقسوة القلوب[1].

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على الخبرِ:

قُدِّم الجارَّ والمجرور على الخبر في قوله تعالى: ﴿هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾؛ فلم يَقُلْ: (إذ هم قعود عليها)؛ وذلك لأهميَّة المُقدَّم في السِّياق؛ إذ المقصودُ: بيانُ أنَّهم على حوافِّ أخدود النّار قعود، وهو ما يُثير الدَّهشة ويُحرِّك الاستغراب، ويقود إلى استنباط أنَّهم على أشدِّ أنواع الحقد والكراهيَّة والنِّقمة للمؤمنين، مع ما في التَّقديم من مُراعاة الفاصلة.

المجرمُ شديدُ النِّقمةِ على المؤمنِ فيُرى عذابُه من أقرب المواقع

فائدةُ التَّعبيرِ بحرفِ الاستعلاء دون الظَّرفِ:

آثر نَّظم الكريم استعمال حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ دون التَّعبير بالظَّرف (عند)، فلم يَقُلْ: إذ هُم عندها قعود؛ وذلك للدِّلالة على شِدَّة قُرْب أصحاب الأخدود من النّار التي أضرموها ليُشرفوا بأنْفُسهم على تعذيب المؤمنين؛ فأفاد حرف الاستعلاء مُكنة المُعذِّبين من الإشراف على النّار مع طول مُكثِهم لذلك، فهم عليها قعودٌ يُراقبون ويأمرون ويُشرفون ويُتابعون مشهد الجريمة بكلِّ سرورٍ وراحةِ بالٍ[2].

تصويرُ مشهدِ الجريمةِ بمُراقبةٍ حثيثةٍ ومُتابعةٍ رتيبةٍ

نوعُ الاستعلاءِ ودلالتُه بين المجازِ والحقيقةِ:

الاستعلاءُ مجازيٌّ في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾؛ لأنَّهم لا يقعدون فوق النّار، ولكن حولها، وهو مجازٌ مُرسَلٌ أي على ما

الدَّلالةُ على المُبالغةِ في كِبْرِ الكافرين وعُتوِّهم وشدَّةِ التَّعذيبِ للمؤمنين

(1) قاسم، عقد الجُمان في تفسير القرآن: 1/ 1280.
(2) ابن علي محمد، التّفسير المُيسَّر: 1/ 1549.

يقرب منها فهم على جوانبها قعود والعلاقة المُجاورة، وإنّما عُبِّر عن القُرْب والمراقبة بالاستعلاء، ويحتمل أن يكون الاستعلاء حقيقيًّا على احتمال أن يكون المُراد بأصحاب الأخدود المؤمنين المُعَذَّبين فيه، فالقعود حقيقة؛ أي: قاعدون على النّار بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود؛ لأنَّ ذلك أشد تعذيبًا وتمثيلًا؛ أيْ: بعد أنْ يُقْعِدوهم في الأخاديد يوقدون النّار فيها، وذلك أروع وأطول تعذيبًا[1]، ويمكن أن يكون الاستعلاء على النّار مجازًا عَقْليًّا؛ إذِ الاستعلاء على النّار غير مُمْكِنٍ؛ لكن أُريد به المُبالغة[2].

بلاغةُ مُفردةِ ﴿قُعُودٌ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بالاسم ﴿قُعُودٌ﴾ على الفعل (يقعدون) أو اسم الفاعل (قاعدون)؛ للدَّلالة على مُداومة أصحاب الأخدود وثباتهم في الإشراف على تعذيب المؤمنين سواءً كانوا قاعدين عليها أو قائمين؛ لأنَّ استمرار القعود دون انقطاعٍ غير مُتَصَوَّرٍ[3]، وصيغة ﴿قُعُودٌ﴾ متناسبةٌ مع مُفردَة القعود الدّال على طول المُكث، فاجتمعت دلالة المُفرَدة، والصيغة في بيان طول المُكْثِ على حوافِّ الأخدود في مراقبة عذاب المؤمنين، ويُؤخذ من ذلك أنَّ عدد المؤمنين كثيرٌ، ممّا يستلزم طول المراقبة ودوام المُكث، وأنَّ هؤلاء المُعذِّبين كانوا قُساةً جبابرةً طغاةً، يَروْن النّارَ تلتَهم البَشَر وهم قعودٌ فكِهون لا يتأثرون فيتحرّكون، وإنّما هو القعود ذو المُكثِ الطويل، والثّبات اللئيم، فاستُعمل لفظ القعود دون الجلوس وهذا على سبيل الكناية عن مُلازمتهم لمواضع الأخاديد، حتى لا يتراخى مَن يوقد النّار في متابعة تسعيرها وإذكاء لهيبها[4]، وهو من الوصف التاريخيّ لِما كان

الكشفُ عن أحداثِ التّاريخ دليلُهُ دِقَّةُ التَّعبيرِ القرآنيّ

(1) ابن عاشور، التّحريروالتّنوير: 30/ 243.
(2) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 185.
(3) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 185.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 242.

في الأخدود، كشفت عنه ألفاظُ العربية المُستعمَلة في نَظْمِ الآية، وهو ما عبّرت عنه مُفردةُ القعود بصيغتها المذكورة.

وعلى القول بأنَّ الضَّمير في ﴿قُعُودٌ﴾ عائدٌ على أهل الإيمان المُعذَّبين؛ فاستعمال القعود دون الجلوس يَشي بأن النّار قد تمكَّنت منهم حتَّى نفذت إلى أحشائهم؛ فصار موضع استقرارهم نفسه من جحيمها.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

تصويرُ أخلاقِ المجرمين أثناء تعذيبِ المؤمنين وبيانُ حالِهم المُشمئِزَّة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ تحتمل أن تكون حاليَّةً، والجُملة في موضع الحال من ضمير ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾، كأنَّه قيل: قعودٌ شاهدين على فعلهم بالمؤمنين، وفائدة هذه الحال تفظيع ذلك القعود وتعظيم جُرمه إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين لا يرأفون بهم، وبذلك فارق مضمون هذه الجملة مضمون جملة: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ باعتبار تعلُّق قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾[1]، والقول بالحاليّة بديعٌ لأنّه يُصوِّر حال المجرمين أثناء قعودهم ومراقبتهم عذاب المؤمنين.

وتحتمل أن تكون الواو عاطفةً على جملة ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[2]؛ أيّ إنَّ أولئك الجبابرة القساة لم يقتصروا على إضرام النّار والاحتشاد حولها وقت تعذيب المؤمنين؛ بل زادوا على ذلك أن وقفوا يرقبون ما يجري بأعينهم، يشهدون آلامهم لحظة بلحظة، ويتلذذون بمشهد العذاب تشفّيًا وانتقامًا[3].

وتحتمل الواو أن تكون استئنافيّةً، لابتداء خبرٍ جديدٍ[4]، لبيان حال أصحاب الأخدود بعد تعذيب المؤمنين بالإحراق.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 243.
(2) صافي، الجدول: 15/ 290.
(3) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 345.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 185.

فائدةُ تكرارِ الضَّميرِ في ﴿وَهُمْ﴾:

أُعيدَ الضميرُ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ليَتَعَيَّنَ أنْ يكونَ عائدًا إلى أصْحابِ الأُخْدودِ[1]، وليُتعجّب من حالهم؛ أيْ: وحالهم العجيبة أنّهم كيت وكيت.

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المُسنَدِ:

حقدُ الكافرِ أشدُّ من الكُفرِ نفسِه وأقسى من الحِقدِ وحده

أفاد تقديم ذِكْرِ الجارِّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾؛ فلم يَقُلْ: (وهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين) المُسارعة إلى بيان جُرْمهم وجبروتهم وبيان شناعة فعلهم وتفظيعه، والتَّشويق إلى بيان ما يفعلونه من شهود العذاب؛ أيْ: فوق أنَّهم قعودٌ مُلازمون لعذاب المؤمنين، فهم على فعلتهم الشَّنيعة شهودٌ، وهو ما يوحي بشدَّة القسوة والحقد، إذ الشُّهود هو حضور القلب والعقل معًا لمُشاهدةِ العذاب المؤلم، مع ما في التَّقديم من مُراعاة الفاصلة.

فائدةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

هولُ العذابِ يُناسبه ألفاظُ العمومِ والإبهامِ

أفاد استعمال الاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إبهام الفعل وتهويله، فإنَّ إبهام حقيقة العذاب يشي بهوله، وأنَّه عذابٌ كثير الأصناف لا يُعيَّن وصفه، ولو أتى بالاسم الموصول (الذي) لما أفاد ذلك؛ بل لأشعر بأنَّه عذابٌ معلومٌ حاله، مستحضرةٌ صفاته، والسّياق سياق تهويل وبيان بشاعة العذاب، لا بيان تفاصيله.

بلاغةُ اختيارِ مُفرَدَةِ ﴿يَفْعَلُونَ﴾:

الإيماءُ إلى ثباتِ المؤمنين ممَّن شُهِر بصناعةِ الجريمةِ والتَّفنّن بها

آثر النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مُفردة ﴿يَفْعَلُونَ﴾ دون مُقارباتها مثل العمل، والصُّنع، أو الألفاظ الدّالة على الفعل مثل التَّعذيب، وذلك

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 242.

لأنَّ التَّعبير بالفعل يدلُّ على أنَّهم أصبحوا فاعلين مُمارسين للتَّعذيب، فهو جزء من أفعالهم المُستمرة والدّائمة، فيُقال فلانٌ فعله القتل؛ كما أنَّ التَّعبير بهذه المُفردة يدلُّ على أنَّهم اشتُهروا بها، كما قيل لموسى عليه السلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ [الشُّعراء: 19]، فهم هذه فعلتهم التي اشتُهروا بها؛ فكان من المُناسب جدًّا استعمال هذه المُفردة؛ لبيان رُسوخ الإجرام والتَّعذيب في سلوكهم، وهو ما يومئ إلى مديح المُؤمنين الثّابتين على الإيمان، فلم يصدّهم إجرام هؤلاء عن إيمانهم.

نُكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الفعلِ المُضارعِ:

جاء التَّعبير بصيغة الفعل المُضارع ﴿يَفْعَلُونَ﴾؛ لبيان تجدُّد التَّعذيب من المُجرمين، واستمرارهم عليه، وهو ما يتناسب مع مُفردة الفعل كما سبق في النُّكتة السّابقة.

بلاغةُ المَجازِ ونوعُه:

أُسنِد فعل ﴿يَفْعَلُونَ﴾ إلى جميع أصحاب الأخدود من آمرين ومباشرين لجمع وقودها وسعارين ووَزَعة، وشهود لها من أجناد المَلِكِ الظّالم[1]، فمع أنَّ المباشرين لتلك الفعلة الشَّنيعة بعضهم؛ جمع غيرهم معهم لرضاهم بما يقوم به زبانية هذه النّار، فأُسنِد الفعل إليهم جميعًا بهذا الاعتبار؛ فإنَّ الرّاضي بعذاب المؤمنين وتعذيبهم مُشاركٌ للفاعل على الحقيقة، ومَن رَضيَ بالكفر واطمأنَّ به فقد كفَر، فأطلق الكلَّ في فعل ﴿يَفْعَلُونَ﴾ وأراد الجزء على سبيل المجاز المُرسَلِ والعلاقة كُلّيَّةٌ، ويحتمل أن يكون حقيقيًّا وهو الأوْلى بالتَّفسير لأنَّ حُكم الرّاضي عن الصّنيع كحُكم القائم به لا فرق في الجريمة، فيكون الفاعلون جميعًا بالفعل البدنيِّ، والفعل القلبيِّ، والفعل الفكريِّ، والفعل التَّحضيضيِّ، وكلها أفعالٌ حقيقيّةٌ في مجتمع الجريمة والكراهية والكفر.

لا فرقَ بين الفعل القلبيِّ والفِكريِّ والبدنيِّ والتَّحضيضيِّ في مُجتمع الكراهيَّةِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 243.

بلاغةُ اختيارِ كلمةِ (المؤمنين):

الإيماءُ إلى علَّةِ التَّعذيبِ والتَّعريضِ بالمُشركين في سببِ مُعاداةِ المؤمنين

آثر النَّظم الكريم التَّصريح بكلمة (المؤمنين) واختيارها دون أوصافٍ أخرى؛ لبيان عِلَّة التَّعذيب؛ فلأنَّهم مؤمنون عُذِّبوا، وهي توطئة لما سيأتي الكلام عليه في اللِّحاق تصريحًا لبيان هذه العلَّة في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾، فالإيمان هو سبب تعذيب الكُفّار لهم، وهي رسالة واضحة كاشفة لجميع المؤمنين من الصَّحابة في المرحلة الأولى في الدَّعوة، وفحواها أنَّ نقمة المُشركين عليكم بسبب إيمانكم هي التي ستقودهم لتعذيبكم وعداوتكم، وهي كذلك تعريضٌ سافر بالمشركين، بأنَّ حقيقة العداء ليس مخالفة الآباء بل ما آتى الله المؤمنين من فضلٍ عظيم.

دلالةُ التَّعبيرِ بمُفردةِ ﴿شُهُودٌ﴾:

شهادةُ الكافرين على أفعالِهم تقودُهم إلى تسجيلِ جرائمِهم

اختار النَّظمُ الكريم التَّعبير بمُفردة ﴿شُهُودٌ﴾، ويحتمل أن يُراد بها الحضور؛ أيْ: حضور الجبابرة القاتلين عند فعل التَّعذيب يُشاهدون ذلك؛ لوَصْفهم بقسوة القلب؛ أو وصْف المؤمنين المقتولين بالثبات على التَّمسُّك بدينهم، وثباتهم أمام الأهوال، وعدم جَزَعهم، ويحتمل أن يكون المُراد منه الشُّهود؛ ففيه وجوهٌ، منها أنَّهم جُعلوا شهودًا يشهد بعضُهم لبعض عند المَلِك أنَّ أحدًا منهم لَمْ يُفَرِّط فيما أُمِر به، وفوّض إليه من التَّعذيب، ومنها أنَّ هؤلاء الكفار مُشاهِدون لِما يفعلون بالمؤمنين مِن الإحراق بالنّار حتّى لو كان ذلك مِن غيرهم لكانوا شهودًا عليه، ثُمّ مع هذا لم تأخذهم بهم رأفةٌ، ولا حصل في قلوبهم ميلٌ ولا شفقةٌ[1]، فدلَّت مُفردة ﴿شُهُودٌ﴾ على الحضور والمُشاهدة والشَّهادة، سواء كانت شهادةً مكانيَّةً أو زمانيَّةً أو قوليَّةً، ومن فوائد هذه المُفردة أنَّه يدخل في ذلك كُلُّ شاهد بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الشَّهادة في دلالة المُفردة، ثُمَّ لا يُحرِّك ساكنًا في إنكار الجريمة، ولا يُنكر المُنكَر.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 111 - 112، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 372.

نوع الواو ودلالتها:

مقصود الجملة على احتمال العاطفة والحاليَّة التَّعجيب من ظُلْمِ الكافرين

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ إمّا أن تكون حاليَّة أو عاطِفَة على الحال الَّتي قَبْلها، وعلى كُلٍّ فهي مُفيدة للحاليَّة والمقصود التَّعجيب من ظُلْم أهل الأخدود أنَّهم يأتون بمثل هذه الفظاعة لا لجرم من شأنه أن ينقم من فاعله[1]، بل لأنَّهم آمنوا بالله العزيز الحميد، وإيمانهم لا يُؤذي الكافرين بل يغيظهم لكشفه عن نقصهم وحقارة مسلكهم، فالمؤمن يُنادي بإيمانه وصلاحه على فساد الكافر ونقصه، ممّا يورِّثُ الحقد، فإذا تمكَّن الكافر الحاقد من المؤمن أخرج عليه سيل حسده وحقده، كما هو الأمر بالنِّسبة لأصحاب الأخدود تصريحًا، والمُشركين تلويحًا.

توجيه عطف الفعليَّة على الاسميَّة:

العبرة في توجيه العطف هو مقتضيات اللُّغة وذائقة البيان لا منطق العقل

على القول بأنَّ الواو للعطف في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾، فهي من عطف الفعليَّة على الجُملة الاسميَّة، وحَسُنَ ذلك – على ما قيل – كون تلك الاسميَّة؛ لوقوعها في حيِّز ﴿إِذْ﴾ ماضويَّة؛ فكان العطف عَطْف فعليَّة على فعليَّة في المعنى، وقيل: إن هذه الفعليَّة بتقدير: (وَهُمْ ما نَقَموا مِنْهُم)[2]، وأيًّا يكن فإنَّ الجمع بين المعاني المُتعاطفة باختلاف تراكيب الجُمَلِ عائدٌ إلى المعنى، لا الصّور اللَّفظيَّة التي تحتكم إلى صنعة المنطق، لا إلى ذوق اللُّغة والبيان، والعبرة في الثّاني لا في الأوَّل.

تعيين مرجع الضَّمير في ﴿نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾:

المُفارقة بَيْنَ قُبح فعل الكُفّار وشَرَفِ المؤمنين الأبرار

مَرْجِع ضمير الرَّفع المُتَّصل في قوله تعالى: ﴿نَقَمُواْ﴾ يعود إلى الكُفّار أصحاب الأخدود، وضمير الجَرّ المُتَّصل في ﴿مِنْهُمْ﴾ يعود إلى المؤمنين، وهذا يُضفي مُفارقةً بليغةً تُعظِّمُ قبحَ الفعل من أولئك الكفّار، وشَرَفَ المؤمنين الأبرار.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 244.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 300.

بلاغة إيثار التَّعبير بمُفردة ﴿نَقَمُواْ﴾:

النِّقْمَة تدلُّ على الكراهيَّة البغيضة والإنكار الشَّديد المورِّث للانتقام

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بمُفردة ﴿نَقَمُواْ﴾ دون مُقارباتها كالكراهيَّة؛ لأنَّ النِّقْمَة تدلُّ على الإنكار الشَّديد والجزاء على الفعل أكثر مِن الكُرْه الذي يُستخدَم لِوَصْف مشاعر سلبيَّة، فالنِّقمة إيجاب مَضرَّة على حال مذمومة، فهؤلاء الجُهّال نقموا حال الايمان، لأنَّهم جعلوها بجهلهم حالا مذمومة؛ فالكراهيَّة مُرتبطةٌ بأعمال القلوب، لكنَّ النِّقمة تدلُّ على أشدِّ من ذلك، فهي تدلُّ على الكراهيَّة، المولِّدة للرَّغبة في الانتقام، وهو ما كان فيما فعلوه بالمؤمنين من شديد العذاب.

نوع (مِنْ) ودلالتها:

مُعاداة الكافر للمؤمن باعتبار جنسه لا باعتبار بعضه المؤثِّر

حرف (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ﴾ لبيان الجنس؛ أيْ: وما نقم الكافرون المعذِّبون من المؤمنين جميعًا إلّا ما في قلوبهم من الإيمان الصّادق، فالنِّقمة شَمَلَتْ جميع المؤمنين، ولم تخصَّ منهم العلماء أو الدُّعاة؛ لأنَّ خشية الكافر من المؤمن تتعدَّى العقل وسداد الفكر، إلى الغطرسة والرَّغبة في الخلاص من جميع المؤمنين، لا المُؤثِّر منهم، لذلك كانت النِّقمة من جميع المؤمنين هي المُبرهنة على الواقع الأليم الذي عاشه المؤمنون من شديد العذاب، وهو ما عاشه المؤمنون على مدى التّاريخ في مواجهة أعداء الفطرة السَّليمة، والأخلاق القويمة، ودين الله تعالى.

دلالة التَّعبير بصيغة المُضارع:

الثَّبات على الإيمان علَّة تعذيب الكافرين للأهل الايمان والتَّنكيل بهم

عُبِّر بالفعلِ المُضارع في قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْمِنُواْ﴾ تنبيهًا على أنَّ التَّعذيبَ إنَّما كان لأجْلِ إيمانِهم في الحاضر والمُستقبلِ، ولو كفروا حين التّعذيب لم يُعَذَّبوا على ما مضى مِن الإيمان[1]، فتعذيبهم بسبب استمرارهم على إيمانهم، ولو أقلعوا عن الإيمان وكفروا لكان ذلك كافيًا في ترك تعذيبِهم، وهو ما يدلُّ على ثبات الإيمان

(1) ابن جُزَيّ، التَّسهيل لعلوم التَّنزيل: 2/ 490، والسّمين، الدُّرّ المَصون: 10/ 747.

في قلوبهم، ورسوخ المُعتقد في صدورهم، وهو ما يكيد الكافرين، ففيه إيماءٌ للصَّحابة المؤمنين وقت نزول الآيات، ولكلِّ مؤمنٍ إلى يوم الدّين، بأنَّ الثَّبات على الإيمانِ في مواجهة المجرمين سيكون نكالًا في الدُّنيا، وخلاصًا سرمديًّا في الآخرة.

بديع فنِّ المدح بما يُشبه الذَّمَّ:

بيان التَّعجب بسبب شناعة نقمة الكافرين من المؤمنين

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ استثناءٌ مفرَّغ، أي: ما أنْكَر هؤلاء الجبابرة على أهل الإيمان أو عابوا عليهم شيئًا مِن الأشياء، أو وصْفًا مِن الأوصاف إلّا أنّهم آمنوا بالله العزيز الحميد[1]، فنقمة أصحاب الأخدود على المؤمنين هي أمر محمودٌ عند ربِّ العالمين، وقد سلك النّظم مدح إيمان المؤمنين بما يُشبّه الذّم، وهو محسنٌ بديعي، فنفى نقمة الكافرين للمؤمنين ثم أثبتها في أمر واحد وهو الإيمان بالقصر، لتنحصر نقمة الكافرين في إيمان المؤمنين، وفائدة هذا المحسن إظهار التّعجب من صنيع الكافرين، فكأنَّه قيل: وهل يُنقم المؤمنون لهذا السبب، وهل تقع الكراهية لهذه العِلَّة[2]؟!.

نُكتة التَّعبير باسم الجلالة:

إجراء الأوصاف العظيمة لربِّ عظيم لبيان بشاعة نقمة الكافرين ومدح المؤمنين

آثر النَّظم الكريم التَّعبير باسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾، وذلك لزيادة شناعة نقمتهم من المؤمنين، ولإجراء الأوصاف العظيمة عليه، وهي العزيز الحميد مالك السَّماوات والأرض؛ ليُبَيِّن أنَّ الخصلة التي أنكروها على المؤمنين ـ وهي الإيمان الخالص ـ خصلةٌ رفيعةُ القدر، ساميةُ المنزلة، لا يَعيبُها إلّا من عَمي قلبُه واشتدَّ ضلالُه، إذ لا يواجه نورَ

(1) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 4/ 413، والرسعنيّ، رموز الكنوز: 8/ 573، وطنطاويّ، التفسير الوسيط: 15/ 345.

(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 444.

الحقّ إلا مَن غرق في الغيّ واستحقَّ أن يُؤخَذ أخذًا شديدًا[1]، فجاء هذا البيانُ ليُرسِّخ في الأذهان أنَّ ما عابه الكافرون على المؤمنين ليس مما يُعاب أصلًا، بل هو أسمى ما يُمدَح به العبد؛ إذ إنهم آمنوا بربٍّ هو وحده أهلٌ للإيمان، لما اتَّصف به من صفات الجلال والكمال التي تُلزم عبادتَه، وتوجب الإعراض عمّا سواه، فهو سبحانه ناصرُ أوليائه، مثيبُهم، مالكُ أمورهم، أمّا ما يُعبَد من دونه فضعيفٌ لا يملك ضرًّا ولا نفعًا ولا حيازةً لشيء، ومن ثَمَّ يشتدّ وجهُ التَّعجيب من أولئك القوم: كيف نقموا من صفةٍ هي عينُ المدح، وكرِهوا أمرًا لا يليق به إلا الثناء؟؛ وهذا أبلغ في توبيخهم وتقريعهم[2].

توجيه تخصيص أوصاف العزيز الحميد المالك بالذِّكر:

طلاقة القُدْرَة، وكمال العِلْم، والمُلْك التّامّ مُسَوِّغات الإيمان بالله تعالى

ذَكَرَ الله تعالى الأوصاف التي يَسْتَحِقُّ بها أن يُؤْمَن به ويُعْبَد، فأوَّلُها العزيز، وهو القادِرُ الَّذي لا يُغْلَبُ، والقاهِرُ الَّذي لا يُدْفَعُ، وهو إشارَةٌ إلى طلاقة القُدْرَة، وتَمام الإرادة، وثانيها الحميد، وهو الذي يَستحقُّ الحَمْد والثَّناء على ألسنة عباده المؤمنين، وفي ذلك إشارة إلى كمال العِلْم؛ لأنَّ مَن لا يكون عالِمًا بعواقب الأشياء لا يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة، فالحميد يدلُّ على العِلْم التّام مِن هذا الوجه، وثالِثُها الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأرْضِ، وهو مالِكُها والقَيِّمُ بهما وهو إشارَةٌ إلى المُلْكِ التّامِّ[3].

نُكتة تأخير صفة (الملك) عن ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾:

المُستحِقُّ للعبادة هو المتَّصف بصفاتٍ لا تكون لغيره

أخَّرَ النَّظم الكريم صفة مُلْكِ السَّماوات والأرض عَنِ صفة العزيز الحميد؛ لِأنَّ المُلْكَ التّامَّ لا يَحْصُلُ إلّا عِنْدَ حُصول الكمال في القُدْرة والعِلم، فثَبَتَ أنَّ مَن كانَ مَوْصوفًا بهذه الصِّفاتِ كان هو

(1) الطِّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 16/ 374.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 244.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 113، والزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 731.

المُسْتَحِقَّ للإيمانِ به وغَيْرُه لا يَسْتَحِقُّ ذلك البَتَّةَ، فكيف حَكَمَ أولئك الكُفّار الجُهّال بكَون مثل هذا الإيمان ذَنْبًا؟!"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

جاء التَّعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ ليقع موقع التَّعليل في المعنى مِمّا سَبَقَ؛ كأنَّه قيل: هو عزيزٌ حميدٌ؛ لأنَّ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المُسنَدِ إليه:

قُدِّم ذِكْرُ الجارِّ والمجرور على المُسنَد إليه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للتَّخصيص، حيث قُصِرَت مِلْكيَّة السَّماوات والأرض عليه سُبحانه قصْرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا من باب قَصْر الصِّفة على الموصوف، وغرض القصر الوعيد والتَّهديد؛ ففي هذا القصر تقريرٌ لحصر الخوف والرَّجاء عليه ﷻ[3]، فإنَّ خَلْقَهُ لا يملكون شيئًا بل هم مملوكون له تعالى، ومَن مَلَكَهُ اللّه تعالى فهو في قبضته وحكمه يصنع به ما يشاء، فليحذر الذين يُعذِّبون مَن آمن به وحده دون سواه أن تُصيبهم مصيبةٌ.

التَّلويحُ بالتَّهديدِ والوعيدِ لِمَنْ حاربَ المؤمنين وصدَّ عن الدّينِ

نُكتةُ جَمْعِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإفرادِ (الأرض):

دَرَجَ البيانُ في مقام تنزيه اللّه تعالى وفي كثير من المواضع على جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ لأنَّ الجمعَ يتناسب مع التَّنزيه والتَّمجيد، لما يدلُّ عليه من سعة الكون المُسَبِّح وعظمته، ولأسرار أخرى منها: أنَّ السَّماوات أشرف من الأرض، والجمع أبلغ في التَّفخيم من الواحد، ومنها: أنَّ أوامرَ اللّه تعالى إلى الأرض تخترق جميعَ السَّماوات السَّبع، وهو ما يزيد شرفها وأفضليَّتها، ومنها أنَّ السَّماواتِ طباقٌ،

السَّماوات دليلُ العظمةِ والأرض الشّاهد الدّال على الغائب

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 112.
(2) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 188.
(3) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 237.

بعضُها فوق بعضٍ، وفي كُلِّ طبقةٍ منها ملائكةٌ ومخلوقاتٌ وكواكب تُسبِّح الله تعالى وتمجِّده، والملحوظ بصفةٍ عامَّة أنَّ البيان الكريم يجمع السَّماوات في كُلِّ مقامٍ يُراد فيه إبراز جلال الله، وعظمة قدرته، وسعة ملكه، ليكون في ذلك الإبراز ما يدعو إلى التَّأمُّل وتوجيه البصائر والأبصار إلى ما وراء هذا الأفق المحدود الذي يعيش فيه مَن لا يمدّون أبصارهم إلى أكثر من مواقع أقدامهم، ولمّا كانت السَّماوات كثيرةً ومعظمها مجهولٌ للإنسان على التَّحقيق، عبَّر عنها بالجمع لتكون شاهدًا على العَظَمَة، ولمّا كانت الأرض مُشاهدةً، أفرَدَها وجَعلَها شاهدًا على الغائب في العظمة والمُكْنة والاقتدار.

سِرُّ تقديمِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على (الأرضِ):

مكانةُ السَّماواتِ وأهميتُها وعظمتُها

قُدِّمَ ذِكْرُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على (الأرضِ) جريًا على عادةِ القرآنِ الكريمِ؛ فإنّ القرآنَ قدَّمَ ذِكْرَ السَّماواتِ على الأرضِ بما يزيدُ عن مئةِ آيةٍ، ولم يتأخَّرْ ذكرُها إلّا في آيتَيْنِ لموجبٍ دلاليٍّ، وقُدِّمت أيضًا من باب تقديم الأعظمِ والأعلَى، فالشأنُ أنْ يتقدَّمَ ذِكْرُ الأعظمِ والأعلَى مكانًا على غيرِه، إلّا إنْ كانَ هناكَ ما يوجِبُ خلافَه، والتَّقديمُ للأهميةِ والقداسةِ، فالسَّماء فيها العرشُ والكرسيُّ، والأرواحُ تصعدُ إليها، وفيها الجنّةُ والملأ الأعلى، وسوى ذلكَ من الغيبيّاتِ.

كما قَدَّمت الآيةُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على (الأرْض)؛ لأنَّ أهل السَّماوات أسْبَقُ وجودًا من أهل الأرض، كما أنَّهم أسبقُ تسبيحًا قبل خلق آدم عليه السلام، ولأنَّهم كذلك أكثرُ تسبيحًا، وأكثرُ مُداومةً على التّنزيه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: 19 - 20]، ولذلك كلِّه فإنَّ السَّماوات أشرفُ بهذه الاعتبارات.

الدَّلالةُ على وعيدِ الكافرين والوعدِ للمؤمنين

نوعُ الواوِ ودلالتُهُ:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ حرف استئنافٍ،

وهو استئنافٌ نحويٌّ والجُملة لا محلَّ لها من الإعراب[1]، ودلَّ الاستئناف على الوعيد للكافرين والوعد للمؤمنين، بإيراد حقيقةٍ جديدةٍ مستقلّةٍ تُلقي في النَّفس جلالَ الرَّقابة الإلهيَّة التي تزيد في وعيد الظّالمين وتطمين المؤمنين، وتنتقل بالسّامع من حكاية أفعال الخَلْقِ إلى تقريرِ المُهيمِن ﷻ بأنَّه مُطَّلعٌ على كُلِّ شيءٍ.

بلاغةُ إظهارِ لفظِ الجلالةِ دون إضمارِه:

آثر النَّظمُ الكريم إظهار لفظ الجلالة مع تَقدُّم ذِكْره دون إضماره في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾؛ فلم يَقُلْ: (وهو على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ) لِتَربية المَهابة، ولتكون الجُملة مُستقلَّة عمّا سبقها، فتكون كالأمثال السّائرة، وليس للجُملة المعطوفة قوَّة الاستئنافيَّة في بيان مضمونها، والمعنى: "والله بكُلِّ شيءٍ عليمٌ عِلْمًا يَتَرَتَّب عليه الجزاءُ فيما هو من جنس الجزاء"[2].

تربيةُ المَهابةِ في قلوبِ المؤمنين والفزعِ في قلوبِ المُشركين

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على المُسنَدِ:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ على المُسنَدِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾، وذلك لزيادة الاهتمام بالمُقدَّم، فإنَّ شمول شهادة الله تعالى على كلِّ شيءٍ هي الحقيقة بالعناية، فإنَّ سياق الكلام جاء لتقرير المقصود بالكلام وهو حساب الخلق أجمعين، وإنَّما يتحقَّق ذلك بذِكْرِ شهادته على كُلِّ شيء، فالعموم الشُّمولي هو الذي يُكسِبُ المعنى فخامةً وتعظيمًا وجلالًا، كما أفاد التَّقديمُ التَّشويقَ للمؤخَّر، فعند سماع قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ينتظر المُتلقّي سماعَ الخبر؛ فيقع موقعَ الثُّبوتِ في الأذهان.

تشويقُ المُتلقّي لسماعِ الخبرِ أرسخُ في الاعتناءِ به والاهتمامِ بشأنِه

نُكتةُ التَّعبيرِ بحرفِ الاستعلاءِ:

جاء التَّعبيرُ بحرفِ الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

بيانُ عُلوِّ عِلْمِ اللهِ تعالى وإحاطتِه سُبحانه بكلِّ شيءٍ

(1) الصّافي، الجدول: 15/ 293.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 188.

﴿شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾؛ لبيانِ عُلوِّ عِلْمِ اللّٰه تعالى وإحاطته سبحانه بكلِّ شيءٍ، وبيان أنَّ لشهادته عُلوًّا على الخَلْقِ جميعًا.

فإنَّ شهادته سُبحانه مرتفعةٌ فوق كل شيءٍ؛ فهو المُطَّلع على خفايا الأمور وظواهرها، المحيط بسرِّها وعلانيتها، لا يَنِدُّ عن علمِهِ دقيقٌ ولا جليلٌ.

فائدةُ التَّعبيرِ بلفظِ العمومِ:

جاء التَّعبير بلفظ العموم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ لإفادة الإحاطة الشّاملة، فلا تغيب عن اللّٰه غائبةٌ، ولا تخفى عليه خافيةٌ، ولا يستتِرُّ عنه خافٍ في الأرض ولا في السِّماء.

فائدةُ استعمالِ لفظِ ﴿شَيۡءٖ﴾:

الإعـــلامُ بالإحاطةِ يزيد من قوّة التَّهديدِ وجزالةِ الوعيدِ

أفاد استعمالُ لفظِ ﴿شَيۡءٖ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ استغراقَ جميع الأشياء، مهما كانت صغيرةً أو كبيرةً، وهو ما يُؤكِّد الغرض الذي لأجله سيق النَّظْم، الكريم وهو إفادة الشُّمول والإحاطة، وهو ما يدلُّ على أنَّ اللّٰه سيُجازي كلًّا بما كَسَبَ، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: 49]، فحساب اللّٰه شاملٌ لكلِّ شيءٍ، وهو ما يزيد من قوّةِ التَّهديد، وجزالة الوعيد.

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿شَهِيدٌ﴾:

تعظيمُ الشَّهادةِ الإلهيَّةِ وتفخيمُ شأنِها وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ أكيدٌ

نُكِّر لفظُ ﴿شَهِيدٌ﴾ للتَّعظيم والتَّفخيم؛ فإنَّ شهادة اللّٰه تعالى ليست كشهادة خَلْقِه، إذ يترتّب عليها الحساب والجزاء، وليس كذلك شهادة غيره، ومن هُنا اكتست معنى التّعظيم، واكتسبت دلالة التَّفخيم، والمعنى: أنَّه سبحانه مُطَّلِعٌ على كُلِّ شيءٍ، ومن جُملته ما

يفعله هؤلاء الكُفّار بالمؤمنين من الإحراق بالنّار، وسوف يُجازيهم[1]، وأنَّه سبحانه يَعلمُ علمًا يترتَّب عليه الجزاء فيما هو من جنسِه[2].

بلاغةُ جملةِ التَّذييلِ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ تذييلٌ اشتمل على وعدٍ ووعيدٍ، وعيدٍ لأصحاب الأخدود، ولِكُلِّ مَن كان على شاكلتهم، ولأمثال أولئك من كفّار قريش وغيرهم من كُلّ مَنْ تَصدّوا لأذى المؤمنين، ووَعْدٌ للَّذين عُذِّبوا في جَنْب الله، وللمسلمين الذين عذَّبهم المشركون؛ مثل: بلال، وعمّار، وصهيب، وسُمَّية رضي الله عنهم[3].

وعيدُ الكافرين ووَعْدُ المؤمنين بإبلاغِ شهادةِ الله على الخلقِ أجمعين

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصُّحبة والصَّداقة:

تدلُّ كلمة (الصّاحب) على مُقارنة شَيءٍ ومُقاربَته[4]، وتُطلق على الصُّحبة بين البشر، وعلى مُلازمة شيءٍ لآخر عاقلًا كان أو غير عاقل، أمّا الصَّديق فكلمةٌ تدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيء قولًا وغيره، ومن ذلك الصِّدْق خلاف الكَذِب، سُمّي لقوَّته في نَفْسِه، ولأنَّ الكَذِب لا قوَّة له، هو باطلٌ[5]، والصَّديق لا يكون إلّا عاقلًا من البشر، فلا يُصادق الحيوان بل يُصاحب، فيُقال: أصحاب الفيل لا أصدقاء الفيل، ولا يُصادق الجمادُ؛ بل يُصاحب، فلا يُقال: أصدقاء الكهف؛ بل أصحاب الكهف، وذلك لعموم معنى المُلازَمَة في الصُّحبة، وخصوص معنى الصِّدق بين البشَرِ.

الصداقةُ علاقةٌ بين البَشَرِ، والصُّحبة علاقةٌ أعمُّ يدخلُ فيها الجمادُ والحيوانُ

(1) ابن عثيمين، تفسير جزء عم، ص: 129.
(2) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 188.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 137، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 244.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صحب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"